**خطبة: صلاح الدين والفتح العظيم.**

**الخطيب: يحيى سليمان العقيلي**

معاشر المؤمنين

تحدثنا في الخطبة السابقة عن قائد من قيادات الاسلام التاريخية ، ممن تركوا بصمات مؤثرة ، وصفحات ناصعة في تاريخها المجيد ، ودروسا بليغة لحاضرها ومستقبلها المنشود ، هو نور الدين محمود زنكي رحمه الله ، ونتحدث اليوم عن قائد من قادته تربى تحت يده ، ونهل من المعين الذي نهل منه ، كتاب الله الهادي وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكان خير خلف لسلفه ، أكمل مسيرة جهاده ، وحقق غايته ومشروعه الذي أوقف حياته من أجله ، تحرير الأقصى من براثن الصليبية ، وإعادته لأحضان أمته التي صانته وقدسته ، فصدق في قائدنا هذا قولُ الحق جل وعلا في وصف تعاقب الأجيال المؤمنة

"وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (10الحشر)

إنه صلاح الدين الأيوبي عباد الله فاتحُ القدس ومحررُ الأقصى ومسقطُ الدولةِ العبيدية الباطنية الحاقدة

ففي وسط الظلام الدامس ، والأيام الحالكة ، والليالي المفعمة بالسواد ، يتراءى للناس شعاعٌ من نور ، يبعثه الله جل وعلا ، بمن يجّدّد لهذه الأمةِ أمرَ دينها، ويقيض لها رجالاً يحملون همّ هذا الدين ، فيتركون الدنيا وزينتها ، ويجعلون زخرفها وراءهم ظهرياً ، يصدق فيهم قوله تعالى " من المؤمنين رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " (الاحزاب )

وصلاح الدين ـ رحمه الله ـ كان من هذا الطراز ، رجلٌ أمة ، هو إحدى مخرجاتِ الإسلام الباهرة ، والحديث عنه رحمه الله له دوافع عدة، فالقدس اليوم في محنةٍ أشبه بما كانت عليه قبل مجيء صلاح الدين ، ولأن بعضا من بني أمتنا اليوم ضلّوا طريق الهداية والرشد ، وتنكبوا عن سبيل الفتح والنصر وراء سراب السلام الموهوم وهو في الحقيقة الذل والاستسلام

نتحدث عن صلاح الدين اليوم لحاجة أمتنا لمن تقتدي بسيرته في عصر أُفتقدت فيه القدوات الذين يعيدون لها العزة والكرامة في زمن تداعت عليها الأمم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومِن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: «حب الدنيا ، وكراهية الموت ».

ونجّدد ذكرى صلاح الدين لأن استقراء التاريخ أمرٌ لازمٌ لتعرف الأمةُ كيف انتصر أولئك الأبطال ، فتسيرٓ على منهجهم وتقتدي بهداهم "

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ (90)

ولأن التفاؤل بالنصر عداد الله أمرٌ مطلوب، فمهما علت دولة الباطل فإنها دولة ساعة، اما دولة الحق فهي إلى قيام الساعة ، فلا داعي لليأس ،، بل الأمةُ اليوم بحاجةٍ إلى عطاء الأغنياء ، وبذل العلماء ، وجهاد الأتقياء ، ومثابرة الصلحاء وعزائم الأقوياء ،،

نعم الأمةُ اليوم بحاجةٍ إلى الوحدة ، وشحذِ الهمم ، وتكاتفِ القوى ، ونبذِ الخلاف ، وتوحيدِ الصفوف ، وحسنِ التوكل على الله عز وجل.

كان" صلاحُ الدين " رحمه الله مفعما قلبُه بحب الجهادِ شغوفاً به ، قد استولى على جوانحه. وقد هجر رحمه الله من أجل ذلك أهله وولده وبلده ، ولم يكن له ميلٌ إلا إليه ، ولا حبٌ إلا لرجاله . يقول القاضي بهاء الدين : " وكان الرجل إذا أراد أن يتقربَ إليه يحثه على الجهاد ، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد أو في الأرفاد لصدق وبّر يمينه".

وإذا النفوس كن كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وكان من كلامه ـ رحمه الله ـ : " كيف يطيب لي الفرح والطعام ولذة المنام وبيت المقدس بأيدي الصليبيين؟!.

يقول بهاء الدين بن شداد واصفاً صلاح الدين : " كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله إلا الجبال " وقال أيضاً : " وهو كالوالدة الثكلى ، ويجول بفرسه من طلب إلى طلب ـ ويحث الناس على الجهاد ، ويطوف وينادي " يا للإسلام " وعيناه تذرفان بالدموع ، وكلما نظر إلى عكا ، وما حل بها من البلاء ، اشتد في الزحف والقتال ، ولم يطعم طعاماً ألبتة ، وإنما شرب أقداح دواء كان يشير بها الطبيب

معاشر المؤمنين

لم يكن " صلاح الدين " رحمه الله ممن يبحث عن ألقاب زائفة ، أو دنيا زائلة ، لكنه كان داعية حق ، ورجل معركة، وصاحب عقيدة ، ومن ثم فلم يكن انتصاره رحمه الله صدفة واتته ، أو حظاً أدركه، وإنما كان نصرالله له بعد أن نصر الله ، وقد تجّلى ذلك بأمور عدة

أولها تقوى الله والاحتراس من المعاصي:

يقول واصفوه إنه رحمه الله كان خاشعَ القلب ، غزير الدمعة، إذا سمع القرآن الكريم خشع قلبهُ ودمعت عينهُ، ناصراً للتوحيد ، قامعاً لأهل البدع، لا يؤخر صلاةَ ساعةٍ عن ساعة ، وكان إذا سمع أن العدوَ داهم المسلمين خرّ ساجداً لله قائلاً : " إلهي، قد انقطعت أسبابي الأرضية في دينك ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل. "

ومن أسباب الفتح والنصر الإعداد الكامل والاهتمام البالغ بقضية التحرير:

فقد بلغ اهتمامُه بقضية الجهاد وتحرير القدس أنه لم يجعل لنفسه سكنًا ، بل خيمةٌ تضرب بها الرياح يمنة ويسرة ، وقيل في وصفه : " كان رحمه الله عنده من القدس أمرٌ عظيم لا تحمله إلا الجبال" كما تجَلى اهتمامه بصناعةِ الأسلحة وبناءِ السفن وعملِ القذائف وتركيب الألغام والمجانيق وغيرها من أدوات القتال.

ومن أسباب النصر والفتح التي منّ الله بها عليه ، تعزيزُ الوحدة و توحيد البلاد تحت راية واحدة ،، وهذا ما صنعه صلاح الدين رحمه الله وحّد بلاد الشام ومصر تحت راية واحدة ، تحت سلطة الدولة العباسية لتبقى دولة الإسلام واحدة موحدة

أما أهم أسباب النصر عبادالله فهو سمو الغاية وربانية الهدف لجهاده ، فقد كان جهادا في سبيل الله ، وإعلاءاً لكلمته وتحريراً لمقدساته ، قال ابن شداد " صحبته يوما على الساحل والأمواج عاليةً كالجبال ، تبعث الهيبة والخوف في النفوس ، وهو واقف يتأمل البحر ثم التفت الي وقال : " إنه متى ما يسَّر الله تعالى فتح بقية الساحل ، قسمتُ البلاد ، وأوصيت وودعت ، وركبت هذا البحر إلى جزائره واتبعتهم فيها ( يقصد الصليبيين ) ، حتى لا أُبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت !!! "

هكذا كانت غايته ، وهكذا أعلى الله ذكره ، وحقق نصره ، وبلغه غايته ، نسأل الله تعالى أن يبعث في الأمة اليوم أمثاله ليعيد مجدها ويحرر شامها وقدسها ،، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم .

معاشر المؤمنين

لقد أكرم الله بيت المقدس بصلاح الدين ، كما أكرم صلاح الدين ببيت المقدس ففتحه في 27 رجب عام 583هـ، في ذكرى الإسراء والمعراج ، وأحضر منبر نورِ الدين كما أوصى ، وفي يوم الجمعة المشهود ، والخطباء يترقبون كلٌ يريد أن يحظى بشرف الخطبة ، أمر صلاح الدين القاضي محيي الدين بن زكي الدين ليخطب أول جمعة ، بعد قرابة مائة عام،من تدنيس الصليبيين له ،

فإفتتح خطبته بالثناء على الله وحمده وشكره على ماإمتّن به من نصر وفتح

، وكان مما قال مخاطباً صلاح الدين وجيشه : " فطوبى لكم من جيش، ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية ، والوقعات البدرية والعزمات الصديقية ، والفتوحات العمرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات العلوية. جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية ، والمنازلات الخيبرية ، والهجمات الخالدية، فجزاكم الله عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء.

لقد كان يوما مشهودا عباد الله أعزّ الله فيه جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، وما أشدّ شوقَ الأمةِ اليوم لمثله ، وماعليها إلا أن تسلك سبيل أولئك الأبطال ، إيمانٌ بالله ويقين ، وإعتصامٌ بحبله المتين ، وإستقامةٌ على شرعه القويم ، ووحدةٌ بعد الفرقة والشتات ، وأخذٌ بأسباب العلم والقوة ،

قال تعالى "

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)